فلاح مكفي
ملك مخفي

"نمر نمر"

منذ بدء الخليقة ، حين قال الله (كوني فكانت) تمسك فلاحنا الفلسطيني بأرضه ، تعلق بها ، نذر نفسه لها ، سالت دماؤه الزكية ، كي يصون الأرض ، الأرض التي تحمي العرض ، والعرض الذي يحافظ على الذرية والذرية تتعانق مع الشجرية • والشجرية تعطي وتعطي ، والأرض تحنو وتعطف ، تجود وتعود ، تتجدد وتتعهد لحامي الذمار ، السهران على نار، بعيدا عن الأوطان ، ولهذا الرازح الأبي ، الذي علمه الاجداد على مر العصور (ترابك يا فلسطين أغلى من الذهب)، يجند افراد عائلته ، صغيرهم وكبيرهم ، للعمل ، للعطاء والاعتماد على النفس (الكدّ على العيال حلال) عليه ان يؤمن معيشتهم ، في ظل ظروف اقتصادية مؤلمة ، ووضع سياسي مأساوي ، لا بد له من آخر ، بعد ان ينبلج فجر جديد ، يشرق على الجميع يعيد صاحب الحق الى حقه ، والمشرّد الى وطنه ، (ما بتروح دينه وراها مطالب) عبر التاريخ قديمه وحديثه ، اكثر من ان تعد وتحصى (عدّوا موجات البحر لقوا الجايات اكثر من الرايحات) ولهذا يتحصّن فلاحنا بأرضه، يتمترس بها ، ينقب ويثقب ، يحفر ويعفر ، يعطي ويأخذ ، عطاء وأخذ الى ما لا نهاية وحتى تجيء الساعة •

فلاحنا الفلسطيني ذكاؤه فطري ، فراسته موروثة ، نباهته منبوته تطلعاته منحوته ، ليس على اوراق اشجاره وخضاره ، ولا على صخور بلاده وترابهاوحسب ، بل على صفحات قلبه ، من اذين وبطين ، وفي كل اذن وعين فاذا استطاع هذا الفلاح المثابر ، تليين الصخور الصوانية واستخدامها لمأربه واهدافه ، فكيف به بلغته الحبيبة ، رفيقة دربه وزاده الروحي، التي يشتق منها ما يشتق ، وان صعب الاشتقاق لجأ الى القياس ، وان امتنع هذا عرج على النسب ، الذي يصون الحسب ، وما جرير والفرزدق، اللذان غرف احدهما من بحر ، ونحت الثاني من صخر ، سوى مثل واحد من مئات الامثلة ، التي استنبطها فلاحنا من ارضه المعطاءة ، سواء اكان ذلك غرفا ام جرفا ام نحتا •

وما علي الجارم ومصطفى امين ، اللذان ضبطا قواعد اللغة ، بيانها ، بديعها ومعانيها ، سوى قدوة اخرى على العطاء وتحليل الكلام ، بما فيه من تشبيهات واستعارات ، من مجازات وكنايات ، من توريات ومقابلات من جناس واقتباس ، دون تكرار او التباس •

وما الخليل بن احمد الفراهيدي وسيبويه ، ومن سبقهما ومن لحقهما في الغوص بين احشاء هذه اللغة ، لاصطياد مرجانها ودررها ، لضبط كلامها وموزونها ، سواء في مدارس البصرة او الكوفة ، او غزة هاشم وطيرة بني صعب ، في قدس البراق وبيت لحم الانعتاق ، ما هؤلاء سوى بعض ثمار هذه الامة •

وان ننسى فلن ننسى ، دور الباحث اللبناني المبدع ، الاستاذ الكبير انيس فريحه ، الذي ضبط امثال ابائنا واجدادنا في معاجم ومناجد خير سند للكاتب والعابد •

المواسم الزراعية

تبدأ السنة الزراعية عند فلاحنا في اوائل الخريف ، او ما يسميه فلاحنا "تشارين"، حيث يحل الصليب فيبدأ الفلاح بالاعداد للموسم الجديد ، بعد ان استراح من فترة عمل مرهقة ، وهو القائل : (عَلى الصليب كِل شي بِيسيب)، وبالكاد ينفض عنه غبار الحصيدة والبيدر ، حتى يبدأ باعداد العدة من جديد، لا يكتفي بقش الارض من النباتات البرية وحسب ، بل يَحْسِم السِّكّة ، يسقي المنجل ، ويوقع العود ، يعلف الفدّان (اللي بيطْعَم فِي التين بيرتاح فِي الطين) ، ولا ينسى المثل الذي ينير له الطريق في حلكة الظلام الآتي : (بأيلول دَبّر المكيُول للعدس والحمص والفُول) • ذكر هذه الحبوب بالذات يعني نظائرها كذلك التي (يعفّرها) والتي (يلقشّها) في حين لا تزال حلاوة العنب والتين تحت اضراسه (في تشرين وَدّع العِنب والتين) (في عِيد لِدقد وْجِد) (الذي يصادق ١٦ تشرين ثاني) ثم يأتي كانون (كانون الأجرد بخلي الشجر إمْرَد) ، وبعده يأتي (شباط اللباط اللي ما في على كلامو رباط) ، ويليه (آذار الهدّار ابو الزلازل والامطار) ومن ثم : (نيسان شتوتة بتجيي السكة والفدّان) (في ايار بيطلع المشمش والخيار)، (في ايار احمل منجلك وغار) ، ثم يجمع الفلاح بين الشهرين المتتاليين ، حيث يتكون

السبل ويحين موعد حصاده (نيسان حبل وايار سبّل) وقبلهما عن موعد زراعة الحمص في اوائل آذار قال : (متى ما صار ورق التين كف غراب ، ازرع حمصك في التراب) •

يدخل شهر حزيران :

(حزيران شهر البسط والكيف أوّله ربيع وآخرهُ صيف)، تأتي اشهر القيظ (في تموز بتحمى المَيّ في الكوز) (في تموز اقطع الكُوز) ويليه بعد ذلك (في آب اقطع الكوز ولا تهاب) • فلاحنا يتأقلم مع شهور السنة الاثني عشر، لديه لكل مقام مقال ، ولكل شهر مكان ، وان مسح الاشهر فلن يتغاضى عن حق مواسم اخرى في السنة (كالمربعنية والخمسينية والسعودات)(سعد ذابح ما بخلي ولا كلب نابح)(سعد بلع لا زرع ولا قلع) (سعد الذبايح بتطلع الحيايا) (في سعد السعود بيدور الدم في العود)• لكل سعد علاماته وتعريفاته • ونحن هنا في غنى عن ذكرها لانها تكاد تكون مألوفة للجميع وأتى على ذكرها الاستاذ وليد ربيع في العدد الخامس من مجلة التراث والمجتمع •

اذن دورة فلاحنا مع اشهر السنة ، كدورة المياه في الطبيعة ، (الدهر دولاب) يتأقلم مع الطبيعة ، في تقلباتها وتغيراتها ، يصعد الجبال بنفس عميق ، ويهبط الوديان بتأن وتؤده ، يأمن العثرات في الطريق، عيناه نسرية اذناه غزلانية ، ساقاه قوية ، ساعداه مفتولة ، (اللبيب من الاشارة يفهم) ، بلاغته في الايجاز ، وايجازه كله بلاغة (خير الكلام ما قلّ ودل) •

- في موسم التين فش عجين •
- في موسم البطيخ فش طبيخ •
- بوكل خبزة ودقة ولا ببات حزقة •
- الفلاح بيبذر حبه ويتكل ع ربه •
- اللي ثوره ابن بقرته ، وحراثه ابن مرته ، فلاحته كلها ربح •
- ان اعقد الزيتون في اذار ، هيوا له الجرار •
- ان اعقد الزيتون في الخميس (نيسان) هيوا له الغطاطيس •

المهنـــة

فلاحنا على علاقة وطيدة ، مع اصحاب المهن الذين يزودونه بآلاته الزراعية ، سواء اكان ذلك (النجار البلدي) الذي يعد عدة الفدان : المحراث ، النِيّر ، وما ادواته سوى المنشار ، الفَدّوم ، البلطة ، المِقدح (البريمه) ، المِبرد ، الفارة والرّابوح ، لا ينسى دور الحداد الذي يزوده بالبولاد ، فالعلاقة بين هؤلاء تقوم على المقايضة ، وحسن العطاء المتبادل • (كل واحد بِيسد الحاجة) لا يستغني احدهما عن الآخر بل يثني عليه ويشكره لتسهيل مهمته وتمشيه امره ، وفلاحنا هو القائل عن المهنـــة :

- الصنعة مِثل النَبعة •
- الصنعة اساور من ذهب •
- الصنعة باليد امان من الفقـــر •
- الصنعة بتغني عن الشحادة •
- صَاحب صنعة مَالك قلعَـــة •

الفلاح يزوّد الحدّاد بالفحم لكوره ، كي يحمي عليه الحديد ويسهل تصنيعه ، وكثيرا ما يضرب المثل للدلالة على الكسل حيث يقول : (مِثل كُور الحَدّاد بلا فحم)

اثناء تجوال الفلاح في حقله وحرشه ، قد تقع عينه على شجرة سنديان ، لعله يجد فرعا او ساقا ، يصلح لأن يكون : بُركا ، وَصلة ، ناطحا ، او ذكرا لعوده ، كل هذه القطع يسميها فلاحنا (تَحاطِيم) فهو يعد المواد الخام للنجار ، وبهـــذا يقتصد في النفقات ، ويسهّل امره ، رائده في هذا المجـــال :
(فلاح مكفّـي مَلِـك مَخفِـــي) •

الأرض

تبقى الأرض رمز الوجود والبقاء ، (مهما طاولت يد الانسان القمر المنير) فالانسان لا يعيش الا على الأرض ، والدولة لا تقوم الا على الأرض ، والحلم العتيد لن يتحقق الا على الأرض ، ومن هنا كانت الارض مصدر الوحي والالهام ، والأرض الطبيعة ، والطبيعة ملهمة الشعراء والفنانين ، منها نظموا اجمل زهرياتهـــم ، ومنها ابتدعوا اجمل لوحاتهم ، التي خلدّت مآثر بلادنا وآثارهـــا •

اباؤنا قالوا بكل عزيمة واصرار : (اِشتُغِل بَأَرضك واِحمِي عَرضَك) حجر البيت ، بابه وشباكه ، سقفه وجداره ، كلها منتزعة من الأرض ، التي تصون العرض ، وتقف سدا منيعا امام الطامعين والمارقين ، ومن ثم دعا اجدادنا الى التمسك بالأرض والعرض ، فقالوا معتزين : (مِن طِين بِلادك حُطّ عَلى اخدادك) ، ومن كان بلا أرض كان كريشة في مهب الريـــح) •

ثم يتحصّن الاجداد بهذا التراث الخالد الذي يتحدّى ويتصدّى. فـــالأرض كانت وما زالت متراسهم ومحرابهم ، صومعتهم وجامعهم كنيستهم وخلوتهم ، (يباهون بها الأمم يوم القيامة) ، وفي هذا المجال تباهوا قائلين : (يـــا أرض اشتدي ما حَدا قدّي) •

ثم عاد المغنون ليتغنوا بها ، المحدثون منهم والقدماء ، من ابراهيـــم الموصلي الى زرياب ، ومن الاندلس الى بغداد ، وفي هذا المجال أنشـــدوا (أرض ابويا يا خَي هِي اغلى شَي) •

عرفوا ان الأرض كنز لا يفنى ولا يزول ، مهما تعاقبت الدول والشعوب مـــن دخيلين وغزاة ، وهم يؤكدون لنا : (مال الأرض بيظل فِي الأرض) • (بِيت السبع لا يخلو مِن العِظـــام) •

الذي يخلو بيته من الاثاث : الفراش ، (السّلخ) ، الجبّة والفروة ، يهزأون به حينا ، يحثونه حينا آخر ، كي يشمر عن ساعد الجِد وهم يرددون : (اللـــي ما عندو فَرش ما عندو طِين وطَرش) •

جدنا المتمرس بأرضه ، الذي يقسمها بين ابنائه واحفاده ، يعرف خباياهـــا ومزاياها ، ما نوع المزروعات التي تلائم هذه التربة او تلك ، اذا كانت (حمره او دغمه) اذا كانت (دار مشحرة) او (حِثانية) لذلك قال : (ما بيفلح الأرض الا عُجولها) او (كل أرض إلها جْذار) •

من الارض وما عليها اشتق اسماء حيواناته ، فهذا الثور الذي يكسو جلده الشعر الأسود والأبيض يطلق عليه اسم (مِزهر) او (زهير) ، او (زهيرة) ، تصغيرا للزهر على روابي سفوحه وهضابه • وذاك الذي ينتهي ذيله بنقطة بيضاء يسميه (نوّار) ، تيمنا مع النوار والنور • وذاك الذي تغزو جبهته نقطة بيضاء، يطلق عليه اسم (نْجيم) تبرّكا بالنجوم والاجرام السماوية • وتلك الفرس الاصيلـــة (المحنجلة) او (الدهمة) • وهذه العنزة التي يغطي صدرها اللون البنـــي يسميها (الدَرعة) تشبيها بالدرع الحربي • وهذه الغنمة (العبّسَة) وذلـــك

وذاك الحمار (الأزرق) ، اسماؤها منتزعة من الارض والسماء ، دون كلفة او تصنع ، بل على الطبيعة ، الذي لا اقارب له ، اذا قسى الدهر عليه وحرم من الذرية والنسل ، هام هذا على وجهه قائلا : (يا ريت لي قرابة ولو من ترابة) لا يعدم هذا ، من الذين يقفون الى جانبه ، في المصائب والمحن ، في الافراح والمناسبات ، فأهلنا لديهم قاعدة ذهبية ، ودستور موروث : (جبر الخواطر) (حماية الدخيل والمستجير) (اغاثة الملهوف) والوقوف الى جانب الضعيف ، (جبر الخواطر على الله) .

يتشابك اهل القرية في علاقات نسب وقرابة ، مع بعضهم البعض ، كتشابك جذور اشجارهم ، يأخذون ويعطون ، يقايضون ويبادلون ، لتقوية الأواصر وتوطيد الدعائم ، كي يقفوا سدا ويدا واحدة في مواجهة التحديات و (ما يُخبيه الغيب) .

العلاقة احيانا تشوبها بعض العوائق لظروف ما ، الارشاد النصح والوعظ يبقى هو الاساس :

- اكبر على رزقك يكبر عليك .
- من قلة هدانا انقلب صيفنا شتانا .
- مسكين يا عبدي ما بتطيق حري وبردي .
- لقمة في بطن جايع احسن من بناية جامع .
- لولا الفلاح ما عاش المدني .
- يا داخل بين البصلة وقشرتها ما بنوبك منها غير ريحتها .

النبات

الأرض هي مصدر الجود والعطاء ، مصدر الثمر والشجر ، الذي يزين ربوع بلادنا في الطول والعرض : (على الجذور تنمو الشجرية) . يباهي بنباته ، يعتز به ويفتخر ، يتغذى ويرتوي بما تجود به الينابيع الفوارة ، والابار الارتوازية ، والانهر الجارية ، التي تنمو على ضفافها اجمل الاشجار والازهار : (الجوز والبرية) وهو يحصل قوته من التربة ، قد يستغني عن الرز والبرغل واللحوم والالبان ، طيلة اشهر الشتاء والربيع ، حيث البقليات ، التي تشكل له انجع دواء واجود غذاء ، وهو القائل في هذا المجال :

- ان حضر الفحم والزيت سوكرت مونة البيت .
- فحم وزيت سبعين في البيت .
- الخيار اوله للسلاطين وآخره للمجانين .
- الخيار اوله للكبار وآخره للحمار .
- كول اول العنب وآخر التين .
- الطويل بيوكل تين والقصير بيموت حزين .
- كل شجرة الها زي، كل شجرة الها في .
- الرمان يملي القلب ايمان .

تبقى الشجرة لديه معززة مكرمة ، كالولد وبؤبؤ العين ، يرعاها ، يتعهدها ويقلمها ، منها يشتق امثاله واقواله ، طبقا لعلاقة الناس مع بعضهم ، في الوفاء والعطاء والسراء والضراء .

- يوم عنبك وتينك ، كل الناس محبينك .
- خلص عنبك وتينك ، كل الناس عدوينك .
- قد الحور ما يملي وما لحق السما .
- الشجرة اللي ما بتنفي على عرقها حل قطعها .
- ما شجرة الا حركتها رياح ، ولا سكره الا لغلقها مفتاح .
- شجرة بلا ثمر حل قطعها .
- كل الاشجار بتعرى بكانون الا الصنوبر والزيتون .
- غنا بلا سخا ، مثل شجر بلا ثمر .
- الجنايين جنون والملك زيتون .
- ما شجرة الا انهزت .

اشجارنا معمرة ، شامخة ، متشبثة ، فلاحنا يحاكيها ويقلدها ،منها يأخذ التمسك بالتراب ، ومنها يتعلم العطاء ، ومنها يتعلم التجدد ، فاذا امتدت يد انسان عليها وقطعتها ، تنمو على جذورها العُفل ، وتكون اكثر تمسكا ، تماما كالذي يستشهد في سبيل الرسالة فيأتي الخَلَف من بعده لمواصلة المهمة ، بعزيمة واصرار دون تقوقع في منطقة واحدة ، (التين والزيتون وطور سنين) الخروب والجوز والدوم الزعرور (ثم النقل بالزعرور) اللوزيات والتفاحيات ، الخيميات والصليبيات، كلها مسونة وكلها معطاءة .

حين تضطرب الاحوال الاقتصادية ، وتلوح بوادر القحط يردد فلاحنا قول اجداده : (ان قل الغالي عليك بالقطاني) .

رابطة متينة تربط بين مناطقنا وثمارنا ، مألوفة لدى الجميع : عنب خليلي برتقال يافاوي ، موز ريحاوي، كنافة نابلسية ، هريسة نصراوية ، تحف لحماوية ، تمر بلحاوي ، تبغ معلاوي ، صبر برعماني ، عنب جناوي .

الطب

الهواء الطلق في الجليل والنقب ،في الضفة والقطاع ، والنسيم العليل الذي يهب على بلادنا ، اكسب هذا الفلاح حصانة ومناعة ، جسمه يتحمل البرد والزمهرير ، يتحمل الحر والقيظ ، كصخوربلادنا التي اكتسبت شهرة عالمية في صناعة الحجارة والرخام : (حَجر قباطيه) ، (حَجر نابلس) ، (حجر جولس) حجر حرفيش) .

وان اصيب الفلاح بوعكة عابرة ، يلجأ الى الطب الشعبي والوصفات ،التي اهتدى اليها بواسطة التجربة والخطأ ،وعلى هذا المنوال تسير التربية الحديثة وقل ان تخلو بلد من طبيب شعبي ، ينذر نفسه لخدمة الرائح والغادي، دون أخذ أتعاب ومصاريف ، بل (حَسَنه لِوجه الله) ، هؤلاء الاطباء لديهم (صيدليات) محلية ، وهم (خير خلف لِخير سلف)، تنتقل هذه المهنة من الأب الى ابنه، ومن الابن الى الحفيد ، تبقى الجذوة متّقدة ، والجمرة ملتهبة ، وبصيص الأمل ينير الطريق .

وصفاتهم الطبية من الطبيعة وما تجود به ، وما اكثر ما تجود به بلادنا المقدسة ، مهبط الديانات واساس المزارات والروحانيات :

- رُزّ ولَبن عَافْيَة عَالْبَدن .
- الخبيزه اولها شَربة وآخرها ضَربة .
- الزّبيب ما بِبَات في جَوف انسان الا اصلحه .
- الخيار بِطْفي عن القلب النار .
- تحت الدوم بِيْحلَى النوم .
- اللي بيوكل قد الزبيبه ما فِيه ولا مصيبة .
- الثوم قَتال السّموم .
- اللي بيوكل فُول راسه اقوى من العالول .
- مثل زِيت الغَار كلّه منافع .

- كُول خُبز وتِينة وبَرطع في المَدينة ولا تُوكل لَحمة سِمينه .
- كُول زيت بتناطِح الحِيط .
- ان صار لك لبن ظَرف اغْرُف غَرف.
- نزل الفَلاح عَ المَدينة ما استطيب غير دبس بِطّحينة .
- اللّي ما بيشبع عنب وتين بيشبع من مَيّة تشرين .

هذا ناهيك عن وصفات شعبية مألوفة ، مستحضرة من زيت الخروع ، البابونج الزعتر ، الزوفا وغيرها : (بُوكل خبز ودقة وما بُبات حزقة) الى جانب هذه الوصفات ، هناك تحذير من الاكثار من تناول بعض الفواكه ، التي قد تسيء الهضم وتتعب المعدة ، خاصة اذا تناولناها قبل النوم مباشرة :

- التين ما بِبات في جوف انسان الا افسده .
- اكل المشمش مِدحِش .
- اللي بيُوكل الفِجل بيشبه العجل .

وذلك نظرا لما يرافقه من روائح كريهة ليست مستحبة ، وتبقى الحكمة الرائدة لدى المطببين الشعبيين ، حين يعجزون عن تشخيص الداء ووصف الدواء ، حيث يقولون وبصدق :

- السخْنَة اللي ما بتعرف فِيها، بالكي دَاويها .

الحصاد والبيدر

فلاحنا العريق ، ليس بحاجة الى لافتات على الطريق ، وهو بغنى عن المحاضرات والندوات ، في الليالي والامسيات ، (اسأل مْجَرب وَلا تِسأل حكيم). وكم من فلاح ولدته امه بالحقل بجانب هذه الشجرة ، وتلك الصخرة ، دون ان تقاسي الآم المخاض وتتمختر في البيت ، بل لتكون الى جانب زوجها دائما وابدا (ترافقه على الخير والشر) (تكاتفه في الحصاد والجهاد) دون غنج او دلع ، سمرتها من الطبيعة ، مكياجها من غبار المزارع ، روائحها من شذى الحقول ، وهي ريفية وابنها ريفي ، والمرأة عندنا تعودت شظف العيش ، تتعب وتشقى ، تحرث وتدرس ، تمارس كل الاعمال الزراعية اسوة بالرجل ، ان غاب نابت محله تردد

ثروتها اللغوية على مسامع ابنها ، ترضعه مع حليب ثدييها : الوفاء والعطاء المروءة والشهامة ، الى جانب تحمل النوائب والمصائب ، تعده كي يكون رجل المستقبل و (عَمود البيت) .

- في تَموز الحصيدة هِيي كوايزك للغلة الجديدة .
- طلعت سمعتك حَاصود احمل منجللك واقعود . (لبناني) .
- عدس بترابه وكل شي بحسابه .
- ايام الزرع محدوده وايام الحصيدة ممدوده .
- ما ساقطة الا وراها لاقطه .
- ايام الحصايد لا تغني قصايد .
- كثرة الأيادي في الحصيدة غنيمة وع الطبق ظليمة .
- كل فوله مقطومه والها كيال اعور .
- لو بدنا من هالابر المخرمة ، عبينا قفف معرمه .

اللقاطات اللوانى قسا عليهن الدهر ، وحرمهن البعل والصهر ، يجبن الحقول دون حرج او انتهار ، ليلتقطن السبل ،ويجمعن القش ، يقششن بين الغمار ، على الحلة والبيدر (رزق العرب مشترك) كي يزودن بيوتنا بمختلف الاطباق والتحف البيتية :

طبق ، منسف ، قبعة ، ربعه ، مشقول ، شتيل ، كلها في غاية الاتقان بعد صبغها بالالوان المناسبة .

التنافس مشروع بين الفلاحين ، كي يضرب المثل بكل واحد على مقدار ما يجنيه وتنتجه يداه ، منقولا الى البيدر على ظهور الجمال والدواب :

- كبر البيدر ولا شماتة العدا .
- عيشني للبيدر وسميني حيدر .
- شرط في الحقلة ولا قتال ع البيدر .
- حساب الحقلة مش طالع ع حساب البيدر .
- البيدر اللي مش الك لا تسأل عن هواه .
- البيدر اللي مش الك فيه لا تغبر دقنك فيه .
- بيدر ما هو الك ، لا تحضر كيله ، بتغبر دقنك وبتتعب بشيله .

هذه الامثال تضبط حياة الفلاح ، في الاعتماد على النفس ، زرع الأمل ، تنظيم العلاقة بين الناس ، عدم التدخل في امور الغير ،حين لا تدعو الحاجة للتدخل

وهذه الأقوال محفورة في القلوب ، كالآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية ، ترتل غيبا لتنتقل من جيل الى جيل .

الصاج والخبز

خبزنا الفلسطيني كما تخبزه القرويات والبدويات ، في الطابون او الفرن البلدي ، على الصاج والموقدة ، ذاك الصاج المدور الذي يزيد قطره عن المتر (صاج ترشحاني وسيخ ترشحاني) هو اكثر ما يسترعي انتباه السائحين والزائرين ، لنكهته وشكله ، خاصة اذا كان مطعما بطحين ذرا ، وكان العجين خامرا وليس عويصا ، سرعان ما تنتشر رائحته في ارجاء الحي والحارة ، كأنه المؤذن الذي يرتل : (حيا على الصلاة) فيعلم الجيران ان الجارة تخبز ، اذن لن يتركوها (تقعد ع الصاج ساعتين) دون مونس او مسلي او مؤازر، ام احمد تجلب اللبنة المكبوسة بزيت زيتوننا الصافي ، ام محمود تجلب الزعتر، ام علي تجلب القهوة ، وام سعيد تجلب الشاي ، ليتناولن وقعة شهية (ترويقة) ، وهن يغازلن الخبازة قائلات : (ام علي تقلع وابو علي يلبع)، وهي تتباهى عليهن بخبزها (المحمر المدور عالبيكار) قائلة (اعطي الخبز لخبازته لو اكلت ثلثينه) يبدأ الحوار بينهن على سبيل الفكاهة والتسلية :

- قالت خبزها ابيض من خبزكو ، قالت كذبيني برغيف .
- خبز مخبوز ومي بالكوز وليش توخذ العجوز .
- خبز وبصل مأكول الأصل .
- خبز وماء مأكول العلماء .
- خبز وزيتون أحسن ما يكون .
- الخبز مصحف الله .
- خبز وبصلة برياحة ولا خروف محشي بصياحه .
- خبز الرجال ع الرجال دين ، وع الانذال صدقة .
- خبز شعير بلا منخل والعافية منين بدها تدخل .
- خبز شعير ومية بير ، والعافية كيف بتصير .
- رغيف برغيف ولا بيات جارك جعان .
- ان كان زادك رايح رحب فيه .

جمعية الاشراف والتنمية

- صحيح لا تكسر ، ومكسور لا تُوكل ، وكُول تتشبع .
- اللي بيفتح بيته بيوسع باب داره .
- بدك زادك تروحيه ، عالنار حمصيه او بالحليب فتيه .

هذا ناهيك عن التفاخر بينهن : (كل ديك على مزبلته صياح) .

- صاجي اكبر من صاجك .
- طوشة صاجك واقعه .
- كارتي اكبر من كارتك .
- ليحتي اشلب من ليحتك .
- دقتي اعلى من دقة الطبل .
- دقتي احن من دقة الشابه .

كل هذا وهن يقضمن الخبز الطازج : هذه طلمية ، دعبوب ، مشطاح ، عوينة بقره ، رغيف سخن ، منقوشة ، لسان حال الخبازه (جابرونا ولا تاخذونا) او (لو الله بيوكل ، بيوكل خبز وعنب) وخلاصة القول فيهذا المجال : (كله حرفات ع قلة الدامات) .

المثابرة والقناعة

مهما اشتدت حرارة تموز و (آب اللهاب) ، ومهما هبطت درجة الحرارة في (الاجرد والامرد)، ومهما ثارت الرياح والزوابع الخمسيني والشراقي في تشارين ، ومهما طال النهار في آذار ، ففلاحنا يبقى في حقله ، (من طلوعها لمغيبها)، يشرب من الجرن ، يأكل شظف العيش (قطين) سكر عجوز ، نبريز بلوط ، زعرور ، صيبعة ، خرفيش ، سنيرة ، دم الغزال ، فالأرض في كل موسم لديها ما تعطيه صيفا وشتاء ، ربيعا وخريفا على حد سواء ، وكيف لا تعطي صاحبها الذي يقضي عمره بين وديانها وهضابها ، (ياما اكلت من اجريه رقات) (يعرف البيضه مين باضها) و (الفولة مين قطمها) و (القمحة مين زرعها).(التعب راحة) ، حين يضع رأسه على المخده ، قبل ان يكحل الكرى جفونه الناعسه ، فهو (ينام دون تهليل) يمر امام ناظريه شريط طويل يعكس حياته وتطلعاته على هذا المنوال :

- مثل الزيتون ما بيتاكل غير رص .
- مطرح ما ترزق الرزق .
- نام بالليل بتسابق الخيل .
- تحت كل قرمية طلميه .
- تحت كل شقيف رغيف .
- تعب السيقان ولا تعب اللسان .
- قطرة ع قطرة بيعملوا غدير .
- قطرة ع قطرة بتقدح الصخره .
- حبة ع حبة قبه .
- الفلاح من بذرة والتاجر من شجرة .
- ضربة المهدة ولا وشوشة المخدة .
- صوم وصلي بتركبك القلة .
- الشغل بجوهر البدن .
- الزيت ما بيطلع الا بالعصر .
- شد البقر ، شد البكر ، وشد السفين في الحجر .
- بيطلع اللقمة من قلب الحجر .
- افلح واثني وازرع بدري .
- سمعني طقة المنكوش ، خود مني ذهب وفلوس .
- اللي بدك منو بدو منك .
- كل شيء بالامل الا الرزق بالعمل .
- ابعد اختي عني وخود ثمرها مني .

وهو لا ينسى ان نيل المطالب ليس بالتمني ، بل بشكل عن سواعده ، يسري مع الفجر ، مثل واحد يغف نصب عينيه .

- زرعنا (لو) طلعت (يا ريت) - لذلك يثابر بلا انقطاع .

الى جانب مثابرته واجتهاده ، (اللي بيوكل على ضرسه بينفع نفسه) ، المثابرة هذه لا تصل الى حدود الطمع ، بل هي مصحوبة بالقناعة (القناعة كنز لا يفنى) والاكتفاء الذاتي ، دون التطاول على ما للغير :

- شعيرنا ولا قمح غيرنا .
- بكانون كن بيتك وكتر حطبك وزيتك .

- البس حصيرة ولا تلبس عيرة .
- بقلة ع زادك ولا وليمة ع زاد غيرك .
- نيّال من زرع العفير ودبس ، وملّى بيته حطب مبيّس .
- عندك عيش وعندي عيش وفجعة العين ليش .
- زيوان بلدك ولا قمح الصليبي .
- لا توكل تمر الا من جنى نخلك ، ولا تركب السبع لو مثل الجمل ناخ لك .
- الحبة بتحور وبتدور وبترجع ع الكور .

كور الفلاح وخليته او ما يسميها (الخناصر) ،وبصنعها من اللبن ، تشكل قاطعا في بيته ، تفصل بين المضافة وغرفة العيال ، لا تحتاج الى المناشير الآلية بل كلها بسيطة ، (على قد فراشك مد رجليك) كذلك كانونه وطابونه (تراب وقش) والسدّة والعليّة (للضيف مفتوحة منازلنا) .

ثم يخلص الى القول (ما باكل لحمة سمينة وباكل عليها غبينه) .

- اللي بدك منه ، بدو منك .
- كل شيء بالأمل الا الرزق بالعمل .
- ثلم بكره بور .
- اربط بكير وحل بكير وخوذ بقر مثل البكاكير .

اجتماعيات

الفلاح الفلسطيني له فلسفته الخاصة التي لا تتقوقع داخل حدود الوطن ، رغم ان (الوطن قفال) فهو يشارك زميلة من المحيط الى الخليج ، عرف ما يدور هنا وهناك بمتابعة واستمرار ، عن طريق التجار المكارية ، الجلّابة ، المهاجرين والنازحين ، يعتز بما ينتجه زميله هناك ، ويعترف بمقدرته وكفاءته ،يضرب المثل بما ينتجه : مشمش حموي ، زعتر حلبي ، ماعز شامي ، موز داموري ، عنب سلطي ، تمر بصري ، حرير موصلي (موسلين) ، تفاح لبناني ، قهوة عدنية ، عباي مكّية ، اكلة مغربية ، حمولة مصرية ، زيتونة سورية ، خضرة تونسية .
الى جانب اطلاعه على ما يدور عبر الحدود المصطنعة ، فلديه الأمل المصحوب بالعمل ، ولديه من التجارب ، قلّ ان تجد نظيرها لدى الأمم الأخرى وشعوب

العالم ، فهو نبع فوار لا ينضب ، يضبط اموره بالحياة بناء على ما قاله السلف وتركه للخلف :

- مكتوب ع ورق التوت ، ما عمر خالة حبت قروط .
- مكتوب ع باب الجنة ، ما عمر حماة حبت كنه .
- مكتوب ع ورق الخيار ، اللي بيسهر الليل بنام النهار .
- مكتوب ع ورق الفريك ، شريك ما بحب شريك .
- مش كل مطاول موز ، ولا كل مكبش جوز .
- ضرب الحبيب زبيب وحجارته رمان .

هو لا يعرف الحقد والكراهية ، لديه من العفو والشهامة ، مخزون لا ينفذ ، يستمده من البادية الفيحاء ، مهما عظمت النوائب واشتدت المصائب مقابل كلمة (بوجه الغانمين) ، (الجيرة يا رسول الله) ، يتنازل عن حقه، صفح عمن اساء اليه على ضوء قرآننا الكريم (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) ، ثم يردد هذا القول : (اضربني وغمد الجرح آخرتها ع الصلح) .

- الصلح سيّد الأحكام .
- بحاكيكي يا جارة تتفهمي يا كنه .
- دوّر ع الأم ولم .
- زعل الأهل ورم .
- اللي ما عنده كبير ، ما عنده تدبير .
- عمر الدّم ما بيصير مي .
- همّ البنات للممات .
- بنت تسعين مرجوعها لأهلها .
- مين اخذ ولدك صار ولدك .
- احترم بوك لو كان صعلوك .
- البنات من صدور العمّات .
- اللي بيجوّزه بوه بيهون عليه الطلاق .

بعد هذه الجولة القصيرة ، مع فلاحنا المكفي ، الذي يستر حاله ، يشدّ ازره يكتفي بالقليل ويعطي الكثير ، يسعى ويشقى (احنا بالجهاد والله بعين) ، لديه ايمان قوي وقناة لا تلين ، مهما قست السنون امله رائده ، اباؤه عضده ،

نخوته شاهده ، زوجته ساعده الأيمن :
(الزلمي جنّى والحُرمة بنّى) ، (المره المُنيحة بْتَبيّضْ وجه جُوزها) (البيت غيبتُه) ، يتعانق هلاله مع صليبه ، وجامعه مع كنيستَه ، وصومعته مع خلوته رغم التحريض وذر الرماد في العيون ، التسامح الديني عنوانه ، الاخاء الانساني لسانه ، التعاون جنانه (الدين لله والوطن للجميع) ، يسوع المسيح وتلاميذه ، محمد وخلفاؤه ، شربوا من نفس النبع ، وتغدوا من نفس الأرض ، نشروا رسالاتهم السماوية ، وتعاليمهم الدينية ، لتأمين العدالة والاخاء في ارض الاباء ، خلّدوا لنا هذا التراث ، الروحي ، الفكري ، والمادي وهذه الحضارة ، فما علينا الا الاحتفاظ بها ، وشدّ ازر ساعد فلاحنا ومؤازرته ليبقى لنا ذخرا وكنزا ، وعنوانا وملجأ (هو بركتنا) ونحن له مدينون بوجودنا وبقائنا .

وهو شعارنا الأزلي في الوفاء والعطاء (فلاح مكفي ملك مخفي) .

==========